AL-MUHITH
JURNAL ILMU AL-QUR'AN DAN HADITS
E-ISSN: 2963-4024 (media online)
P-ISSN : 2963-4016 (media cetak)
DOI : 10.35931/am.v2i2.3200

تفسير الصوفية

Akhmad Rusydi
Sekolah Tinggi Ilmu Qur'an (STIQ) Amuntai
jihadhanif212@gmail.com

ملخص البحث

القرآن الكريم هو مصدر الهداية ومنبأ العلم وأصل السعادة للعالمين كافة عامة، تفسير الصوفية أو مشهور عند علماء القرآن بالتفسير الإشاري هو لون من ألوان التفاسير الموجودة في العالم الإسلامي، اختلف الناس من قديم الزمان في وجود وقبول هذا اللون الغريب العجيب من تفسير القرآن الكريم. فمنهم من يرد ولا يقبل هذا النوع من التفسير، منهم من قبله وجعله مرجعا ومصدرا لفهم الآيات القرآنية.

فمنهج كتابة هذه المقالة البسيطة هو المنهج الكيفي، ويعد هذه المقالة من البحث المكتبي حيث يقرأ الكاتب الكتب المتعلقة بهذا الموضوع ويقارن المعلومات فيها بعد استيعابها وتعمقها. وقد استنبط الكاتب من خلال هذه المقالة أن التفسير الصوفي نوعان، هما التفسير النظري الفلسفي والثاني التفسير الإشاري، أما التفسير النظري الصوفي الفلسفي فلا يقبله علماء القرآن لعدم استيفاء شروط التفسير المتفق عليه من قبل علماء القرآن، وأما النوع الثاني من هذا اللون التفسيري، فهو التفسير الإشاري فقد قبله علماء القرآن مع بعد شروط التي ذكروها. وهذا النوع ينقسم قسمين، التفسير الإشاري للآيات الكونية والتفسير الإشاري الصوفي. وكلاهما مقبولان عند علماء القرآن إذا استوفيا الشروط التي قررها العلماء.

الباب الأول : مقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن ربيع قلوبنا وبهجة نفوسنا ونور عقولنا و هادي علومنا ومدبر أمورنا وموئل شقوقنا وحكم ما بيننا ونظام دولتنا ومنهج أمتنا ومحوار فكرنا وهادي ضالنا وشفاء لما في صدورنا. الحمد لله الذي أنزل الفرقان وخلق الإنس. الحمد لله الذي أرسل إلينا أفضل رسله من صفوة خلقه ليبين لنا خير كتبه فأخبرنا من أحلك ظلمة إلى أوضح سبيل. وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده فكان خير قدوة ومنار الهدى. ورضي الله تعالى عن ضحبه

الكرام وأرضاهم ادوا عن حياض الإسلام وباعوا المهج والأرواح في سبيله كانوا جنود الإسلام حقا وجذوره الأولى فكانوا خير القرون. وكيف لا يكونون خير القرون وفيهم رسول الله وبينهم كتاب الله، وهم إذا أشكل عليهم معنى أو غمض عليهم مرمى جاءوا إليه عليه الصلاة والسلام فوضحه لهم وبينه فجلا غموضه، وحيوا بالقرآن حياة طيبة وتحركوا وأبصروا به السبيل وأدركوا. وتهذبوا به وتخلقوا وعملوا به وتأدبوا وصلوا به وأخبتوا، وحاربوا وسالموا وبه قاموا ونهضوا وإن شئت فقل ترقوا وتمدنوا وبلغوا ما بلغوا فكانوا بحق جليلا قرآنيا فريدا.

ذلكم الإحساس كان يفتح لهم آفاق القرآن ويفتح لهم أبواب العلم والمعرفة ومع هذا فقد كانوا، رضي الله تعالى عنهم لا يجدون في بسيط الأرض على سعتها ومديد السماء على عرضها وملجأ إن هم قالوا في القرآن بغير علم أو بما لايعلمون. فعلى هذا المنهج الصافي، والمورد العذب والنبع النقي كانت سيرة خير القرون وقدوة المسلمين.

ولقد أنزل الله هذا القرآن الكريم هدى وشفاءا للمؤمنين، وقد أتى حين من الدهر على البشرية وهو تائهة ضالة على بسيط الأرض تعيش في بحار من الظلام وتسير في غمرة من الأوهام، ثم شاء الله أن يبعث فيهم رسولا منهم يخرجهم من الظلات إلى النور، ولم يكن ذلك النور إلا دين الإسلام وعماده، وأساسه، وهو القرآن الكريم، الذي تداعى المسلمون لقراءته وحفظه والعمل به، فلم يكونوا يتجاوزوا العشر أيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. والعمل لا يكون إلا بعد الفهم والتدبر لمعاني القرآن الكريم وهكذا كان القوم – رضوان الله عنهم- مع الفهم والتدبر لا يكون إلا بعد الكشف عن مرامي القرآن الكريم وبيان معانيه وحل ألفاظه وجلاء دلالاته وهذه المعاني هي ما يجمعها مصطلح التفسير.

فمن ألوان التفاسير التي زينت كنوز علوم الإسلام هو تفسير الصوفي الذي مشهور بالتفسير الإشاري الصوفي، وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة. وسنتكلم عن هذا اللون من التفسير إن شاء الله في هذه المقالة المتواضعة. بسم الله الرحمن الرحيم.

الباب الثاني : المباحيث

المبحث الأول : معنى التصوف ونشأته.

1. أصل كلمة التصوف.

اختلف العلماء في أصل كلمة التصوف، فقيل : إنها مشتقة من الصوف وذلك لأن الصوفية خالفوا الناس في لبس فاخر الثياب فلبسة الصوف تقشفا وزهدا، وقيل : إنه من الصفاء وذلك لصفاء قلب المريد وكطهارة باطنه وظاهره من مخالفة ربه، وقيل : إنه مأخوذ من الصفة التي ينسب إليها فقراء الصحابة المعروفون بأهل الصفة، ويرى بعضهم أنه لقب غير مشتق.[1]

2. معنى التصوف (المراد من التصوف)

اختلف العلماء في معنى التصوف،فقد ذكر الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح أن العلامة ابن خلدون فقد تعرض للتجربة الصوفية، وأشار إلى صعوبة في وضع تعريف شامل للتصوف، وصرح بأن محاولة الكثيرين للتعبير عن التصوف بلفظ جامع يعطي شرح معناه، لم يفسر قولا من أقوالهم بذلك.

ثم ذكر بعض تعاريف لكلمة التصوف، منها : قول أبو حفص الحداد :"التصوف تمام الأدب"، وقال أبو الحسين النوري : "ليس التصوف رسما ولا علما، ولكنه خلق، ثم يعلل ذلك بقوله : ((لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة، ولو كان علما لحصل بالتعليم، ولكنه تخلق بأخلاق الله، ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلاهية بعلم أو رسم))"[2]. فقد ذكر الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي أن تعريفات لهذا المصطلح كثيرة جدا، وقال أن مهمنا هنا ذكر أقوال المعاصرين أو ما صرح المعاصرون بترجيحه، فذكر[3] :

- ثم عند أبي سعيد الخراز حين سئل عن الصوفي، فقال : "من صفّى ربه قلبه فامتلأ قلبه نورا ومن دخل في عين اللذة بذكر الله"

[1] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 ه)، ص 295

[2] عرفان عبد الحميد الفتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، (بيروت : المكتب الإسلامي، 1394 ه) ص 119-120

[3] فهد بن عبد الرحمن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الجزء الأول (الرياض : مكتبة رشد، 1422 ه) الطبعة الرابعة، ص 360

- وأيضا الشيخ أبو بكر الكتاني المتوفى سنة 322 هـ قال : "التصوف صفاء ومشاهدة"

3. تاريخ التصوف

ذكر الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي أن العلماء والباحثين قسّموا الأدوار التي مر به التصوف منذ نشأته إلى عصرنا هذا إلى أربعة أدوار، وهي[4] :

- الدور التمهيدي : ويبدأ بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وينتهي بنهاية القرن الثاني الهجري وهو دور الزهد، والتصوف بهذا المعنى موجود منذ الصدر الأول للإسلام، فكثير من الصحابة كانوا معرضين عن الدنيا ومتاعها، آخذيين أنفسهم بالزهد والتقشف، مبالغين في العبادة، فكان منهم من يقوم الليل ويصوم النهار، ومنهم من يشد الحجر على بطنه تربية لنفسه وتهذيبا لروحه، غير أنهم لم يعرفوا في زمنهم باسم الصوفية. و أول من سمي بالصوفي : أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة 150 هـ.[5]
- الدور الفلسفي : ويبدأ من أوائل القرن الثالث الهجري وينتهي في منتصف القرن السابع وهو دور البلوغ و الكمال. ولقد استفادت المتصوفة من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء ما كان له من الأثر الأكبر في هذا التطور الصوفي، غير أنهم أخذوا من الفلسفة بحظ كبير،بل وكونوا الفلسفة خاصة بهم، حتى أصبحنا نرى بينهم رجالا أشبه بالفلاسفة منهم بالمتصوفة، وأصبحنا نرى بعضهم يدين بمسائل فلسفية لا تتفق و مبادئ الشريعة. مما أثار عليهم جمهور أهل السنة، وجعلهم يحاربون التصوف الفلسفي، ويؤيدون التصوف الذي يدور حول الزهد، والتقشف وتربية النفس. وما زال أهل السنة يحاربون التصوف الفلسفي حتى كادوا يقضون عليه في نهاية القرن السابع الهجري.[6]
- دور الانحطاط : ويبدأ من منتصف القرن السابع وينتهي في منتصف القرن الثالث عشر. حيث تحولت الصوفة شيئا فشيئا عن الفلسفة والبحث إلى جلسات الذكر والمجاهدة مع الغناء والرقص وتأسست التكايا ونشأت الطرق وكثر المرتزقة والدجالون والمحتالون والمشعوذون وكثر التكلم بالكرامات وخوارق العادات واشتد الإيمان بالأولياء فنصبت فوق قبورهم القباب وأقيمت لهم الموالد

[4] فهد بن عبد الرحمن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الجزء الأول ، ص 360.

[5] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 هـ)، ص 269.

[6] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 هـ)، ص 269

والأعياد ونسبت إليهم شتى المعجزات وكانت قبورهم تزار لجلب الأولاد او الشفاء من الأمراض والعاهات او جلب الحظ والإكثار من الرزق.

- دور التجديد : ويبدأ من منتصف القرن الثالث عشر حتى وقتنا الحاضر وهو دور نهضة والانطلاق. أما الدور الرابع الذي ذكره بعض الدارسين وهو دور النهضة والتجديد ففيه نظر لصحته، فذكر الدكتور فهد الرومي أن الصوفية قد لاقت في العصور المتأخرة صحوة الإسلامية، كانت حربا عليها فنهضت في الجزيرة العربية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فهدمت القباب وأبطلت النذور لها وإقامة الموالد ونحوها حتى كاد التصوف أن يزول –لولا الله– ثم لولا طائفة لا تزال تبث سمومها المخدرة في المجتمع. وقامت ضد الصوفية دعوات أخرى رجال آخرون في مناطق شتى في العالم الإسلامي في مصر والشام والهند وغير ذلك لكن لم يكن لهذه الدعوات ما للدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية. ولذا فلا تزال الصوفية في تلك المناطق على تفاوت بينها تزاول شعارها وتبث خرافاتها وأوهامها. وقال الشيخ : "لا أدري لم يُسمِّي بعض الباحثين هذه الفترة بعصر النهضة والتجديد. إلا إن كانوا يقصدون به تجديد الخرافات والبدع والمنكرات.[7]

4. المبحث الثاني : أقسام التصوف وأقسام تفسيره.

من خلال ما ذكرنا سابقا عرفنا أن التصوف ينقسم إلى قسمين أساسيين، وقد ذكرهما الشيخ محمد حسين الذهبي وهما :

أ. التصوف النظري : وهو التصوف الذي يقوم على البحث والدراسة.
ب. التصوف العملي : وهو التصوف الذي يقوم على التقشف والزهد، والتفاني في طاعة الله.

وكل من القسمين كان له أثره في تفسير القرآن الكريم، مما جعل التفسير الصوفي ينقسم أيضا إلى قسمين، : التفسير الصوفي النظري و التفسير الصوفي الفيضي أو إشاري.[8] وهما :

أ. تفسير الصوفي النظري.

[7] فهد بن عبد الرحمن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الجزء الأول ، ص 361-362.
[8] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 ه)، ص 297.

وجد من المتصوفة – كما سبق– من بنى تصوفه على مباحث نظرية، وتعاليم فلسفية، فكان من البدهي أن ينظر هؤلاء المتصوفة إلى القرآن نظرة تتمشي مع نظرياتهم وتتفق وتعاليمهم. وليس من السهل أن يجد الصوفي في القرآن ما يتفق صراحة مع تعاليمه، ولا ما يتمشى بوضوح مع نظريته التي يقول بها. إذ أن القرآن عربي جاء لهداية الناس لا لإثبات نظرية من النظريات. ربما كانت في الغالب مستحدثة وبعيدة عن روح الدين وبداهة العقل. غير ان الصوفي حرصا على أن يتسلم له تعاليمه و نظرياته، يحاول أن يجد في القرآن ما يشهد له أو يستند إليه، فتراه من أجل هذا يتعسف في فهمه للآيات القرآنية، ويشرحها شرحا يخرج بها عن ظاهرها الذي يؤديه الشرع، وتشهد له اللغة.[9]

فقد عد الدكتور محمد حسين الذهبي أن الأستاذ الأكبر محيي الدين بن عربي شيخ هذه الطريقة في التفسر، إذ أنه أظهر من خب فيها ووضع، وأكثر أصحابه معالجة للقرآن على طريقة التصوف النظري، وإن كان له من التفسير الإشاري ما يجعله في عداد المفسرين الإشاريين إن لم يكن شيخهم أيضا.

- تأثر ابن عربي بالنظريات الفلسفية

إذا قرأنا الكتب لابن العربي التي يشك نسبته إليه (عند الذهبي)، كالتفسير المشهور باسمه، وفي الكتب التي تنسب إليه على الحقيقة مثل الفتوحات المكية، الفصوص، نستطيع أن نرى أن ابن عربي يطبق كثيرا من الآيات القرآنية على نظرياته الصوفية الفلسفية. فمثلا يفسر بعض الآيات بما يتفق والنظريات الفلسفية الكونية، فعند قوله تعالى في الآية (58) من سورة مريم في شأن إدريس عليه السلام : {ورفعناه مكانا عليا} نجده يقول : "وأعلى [10]الأمكنة المكان الذي تدور عليه روحي عالم الأفلاك، وهو فلك الشمس وفيه مقام روحانية إدريس، وتحت سبعة أفلاك، وفوقه سبعة أفلاك وهو الخامس عشر. ثم ذكر أفلاك التي تحته، والتي فوقه، ثم قال : "وأما علو المكانة فهو لنا أعني المحمديين كما قال تعالى : {وأنتم الأعلون والله معكم}(محمد 35) هذا العلو وهو يتعالى عن المكان لا عن المكانة.

وعند قوله تعالى في الآية (87) وما بعدها من سورة البقرة. {ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل} إلى قوله:{كأنهم لا يعلمون} يقول : "والظاهر أن جبرائيل هو العقل الفعال،

[9] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 ه)، ص 297

[10]

وميكائيل هو روح الفلك السادس وعقله المفيض للنفس النباتية الكلية الموكلة بأرزاق العباد، وإسرافيل هو روح الفلك السابع الموكل بالأرواح الإنسانية كلها يقبضها بنفسه أو بالوسائط التي هي أعوانه ويسلمها إلى الله تعالى.

- تأثره في تفسيره بنظرية وحدة الوجود

لقد تأثر ابن عربي في تفسيره للقرآن الكريم بنطريته وحدة الوجود، التي هي أهم النظريات التي بنى عليها تصوفه، فنراه في كثير من الأحيان يشرح الآيات على وفق هذه النظرية، حتى إنه ليخرج بالآية عن مدلولها الذي أراده الله تعالى. فمثلا : عندما تعرض لقوله تعالى في أول سورة النساء : {ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة}، نجده يقول : "{اتقوا ربكم} اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم، واجعلوا مابطن منكم – وهو ربكم- وقاية لكم فإن الأمر ذم وحمد، فكونوا وقايته في الذم، واجعلوه وقايتكم في الحمد تكون أدباء عاملين.

وفي تفسيره لقوله تعالى في الآيتين (29-30) من سورة الفجر {فادخلي في عبادي# وادخلي جنتي} يقول : "وادخلي جنتي التي هي ستري، وليست جنتي سواك، فأنت تسترني بذلك الإنسانية فلا أعرف إلا بك، كما أنك لا تكون إلا بي، فمن عرفك عرفني، وأنا لا أُعرَف فأنت لا تُعرَف، فإذا دخلت جنته دخلت نفسك، فتعرف نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التي عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك إياها، فتكون صاحب معرفتين : معرفة به من حيث أنت، معرفة به بك من حيث هو لا كم حيث أنت، فأنت عبد رأيت ربا، وأنت رب لمن له فيه أنت عبد، وأنت رب وأنت عبد لمن في الخطاب عهد.

- قياسه الغائب على الشاهد.

وقد ذكر الذهبي أنه قد نجد ابن عربي يفهم بعض النصوص القرآنية فهما خياليا منتزعا من المشاهد المحسوس، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في أول سورة الرحمن {الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان، والسماء رفعها ووضع الميزان، ألا تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان} يقول ما نصه : {الرحمن، علم القرآن} على أي قلب نزل، {خلق الإنسان} فعين له الصنف المنزل عليه {علمه البيان} أي نزل له البيان فأبان عن المراد الذي في الغيب {الشمس والقمر بحسبان} ميزان حركات الأفلاك {والنجم والشجر

يسجدان} لهذا الميزان، أي من أجل هذا الميزان، فمنه ذو ساق وهو الشجر، ومنه ما لا ساق له وهو النجم، فاختلفت السجدتان {والسماء رفعها} وهي قبة الميزان {ووضع الميزان} ليزن به الثقلان {ألا تطغوا في الميوان} بالإفراط والتفريط من أجل الخسران {وأقيموا الوزن بالقسط} مثل اعتدال نشأة الإنسان، إذ الإنسان لسان الميزان {ولا تخسروا الميزان} اي لا تفرطوا بترجيح غحدى الكفتين إلا بالفضل، وقال تعالى : {ونضع الموازين بالقسط}(الأنبياء :48) فأعلم أنه ما من صنعة ولا مرتبة ولا حال ولا مقام إلا والوزن حاكم عليه علما وعملا.

فقد ذكر الدكتور محمد حسين الذهبي هذه الأمثلة في كتابه التفسير والمفسرون وقال : "نستطيع أن نقرر في صراحة واطمئنان أن التفسير الصوفي النظري تفسير يخرج بالقرآن، –في الغالب– عن هدفه الذي يرمي إليه، يقصد القرآن هدفا معينا بنصوصه وآياته، ويقصد الصوفي هدفا معينا بأبحاثه ونظرياته. وقد يكون بين الهدفين تنافر وتضاد، فيابى الصوفي إلا أن يحول القرآن عن هدفه ومقصده، إلى ما يقصده هو ويرمي إليه. وغرضه بهذا كله : أن يروج لتصوفه على حساب القرآن، وأن يقيم نظرياته وأبحاثه عن أساس من كتاب الله وبهذا الصنيع يكون الصوفي قد خدم فلسفته التصوفية ولم يعمل للقرآن شيئا، أللهم إلا هذا التأويل الذي كله شر على الدين وإلحاد في آيات الله.[11]

ب. تفسير الصوفي الفيضي (الإشاري)

فهذا النوع الثاني من التفسير الصوفي. وهو تأويل آيات القرآن الكريم على غير ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأهل العلم والسلوك، تقوم على التطابق بينها و بين الظواهر المرادة من الآيات القرآنية. بوجه من الوجوه الشرعية[12]. و لا نطيل الكلام عن هذا التفسير في هذا المبحث، وسنتكلم عنه في المبحث الذي يليه. إن شاء الله.

المبحث الثالث : تفسير الصوفي الإشاري

أ. تعريف هذا التفسير

[11] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 هـ)، ص 302

[12] الشيخ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (بيروت : دار النعائس، 1414 هـ)، ص 205

الإشارة لغة مشتق من كلمة أشار–يشير بمعنى أومأ–يومئ، معبرا عن معنى من المعاني، وبمعنى النصيحة[13]

والإشارة اصطلاحا ما ثبت بنفس الصيغة من غير أن يساق له الكلام[14]

وأما التفسير الإشاري اصطلاحا ففيه أقوال، منها :

- ✓ عند الشيخ خالد عبد الرحمن العك، هو : تأويل آيات القرآن الكريم على غير ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأهل العلم والسلوك، تقوم على التطابق بينها و بين الظواهر المرادة من الآيات القرآنية. بوجه من الوجوه الشرعية.
- ✓ عند الدكتور محمد حسين الذهبي، هو : تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة.
- ✓ عند الدكتور فهد بن عبد الرحمن سليمان الرومي، هو : تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب الشلوك ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا.

ب. أنواع هذا التفسير

فقد قسم الشيخ خالد عبد الرحمن العك هذا النوع من التفسير إلى قسمين، وهما :

- التفسير الإشاري العلمي للآيات الكونية.

هذا التفسير داخل في التفسير الإشاري لأنه لا تنطبق عليه شروط التفسير العقلي الاجتهادي، ولا يخضع لتلك الضوابط التي وضعها العلماء لتفسير النصوص القرآنية. وذلك لأن هذا التفسير يقوم أصلا على شرح وإيضاح الإشارات القرآنية التي تشير إلى عظم خلق الله تعالى. وكبير تدبره وتقديره، لتلك الآيات المنظورة في هذا الكون المعمور.

ومثال لهذا النوع من التفسير كثيرة منها :

[13] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، (القاهرة : مكتبة الشروق الدولية، 1429 هـ) الطبة الرابع، ص 518.

[14] الشيخ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (بيروت : دار النعائس، 1414 هـ)، ص 205.

- الإشارات التي تتعلق في الأرض وهي قوله تعالى :{وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب}(النمل :88) وهذه الآية تدل على دوران الأرض.
- الإشارة التي تتعلق في السماء والفضاء، مثل قوله تعالى :{والسماء ذات البروج}(البروج :1) مع قوله تعالى:{ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين}(الحجر :16) إشارة إلى طبقات الفضاء الكوني.

وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة لا مجال لنا الكلام عن هذا الموضوع بكماله في هذه المقالة المتواضعة.

– التفسير الإشاري الصوفي.

حاول الصوفية منذ أقدم عصورهم أن يجدوا لمبادئهم وتعاليمهم مستندا خلال النصوص القرآنية. وأن يتخذوا من القرآن عمدة في تأييد خطتهم وطريقتهم، والصوفية يرون أن النص القرآني تحتجب وراء دلالته اللفظية أفكار عميقة ومعان دقيقة. ويرون أن المعنى الحقيقي للتنزيل الإلهي لا يتناهى عند هذه البسائط البادية من ظاهره، وأن هناك معنى ظاهرا ومعنى باطنا، وأن الأهم هو أن يكونا معا، ولذلك يقول ناصر الدين خسرو : "تفسير النص بالظاهر هو بدن العقيدة، بيد أن التفسير الأعمق يحل محل الروح، وأين يحيا بدن بلا روح.[15]

والصوفية يقول بعلم ((الإشارة)) وهو علم ما في القرآن الكريم من أسرار عن طريق العمل به، ويسمون هذا، مذهب أهل الصفوة في المستنبطات الصحيحة في فهم القرآن، قال تعالى :{أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها}(محمد :24) وقال النبي عليه الصلاة والسلام : ((من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم)) وهو علم الذي ليس لغيرهم من أهل العلم. وإقفال القلوب ما يقع على القلوب من الصدأ لكثرة الذنوب، واتباع الهوى ومحبة الدنيا وطول الغفلة وشدة الحرص وحب الراحة وحب الثناء والمحمدة، وغير ذلك من الغفلات والزلات والمخالفة والخيانات.[16]

[15] الشيخ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (بيروت : دار النعائس، 1414 هـ)، ص 210

[16] الشيخ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (بيروت : دار النعائس، 1414 هـ)، ص 210

فإذا كشف الله تعالى ذلك عن القلوب وصدق التوبة والندم على الحوبة. قد يفتح الله الأقفال عن القلوب، وأتته الزوائد والفوائد بترجمانه، وهو اللسان الذي ينطق بغرائب الحكم وغرائب العلم. والصوفة أيضا يقولون بأن تحت كل حرف من حروف القرآن كثيرا من الفهم، وهو محذور لأهله على قدر ما قسم لهم من ذلك، ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى : {وكل شيء أحصيناه في إمام مبين}(الشعراء :89) فقال : القلب السالم على ثلاثة أوجه، وهي : أولا يلقى الله تعالى وليس في قليه مع الله شريك، والثاني هو الذي ألقى الله تعالى وليس في قلبه شغل مع الله عز وجل، والثالث الذي يلقى الله عز وجل ولا يقوم به غير الله.[17]

ت. شروط قبول تفسير الإشاري الصوفي

شرط العلماء لقبول هذا النوع من التفسير شروطا[18]، وهن:

- أن يكون له معارض شرعي أو عقلي
- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده
- أن لا يدعى أنه هو المراد وحده دون الظاهر أو باقي وجوه الفسير.
- أن لا يتنافى وظاهر النظم القرآني الكريم

ث. الفرق بين هذا التفسير والتفسير الصوفي النظري

ذكر الدكتور محمد حسين الذهبي الفرق بين التفسير الصوفي النظري والتفسير الصوفي الإشاري، وهي :

- الفرق الأول : أن التفسير الصوفي النظري ينبني على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولا، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك. وأما التفسير الإشاري فلا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية، يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه العبارات القدسية. وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.
- أن تفسير الصوفي النظري يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعاني وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه، وهذا حسب طاقته طبعا، وأما التفسير الإشاري فلا يرى الصوفي أنه كل

[17] الشيخ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (بيروت : دار النعائس، 1414 ه)، ص 213–214

[18] ينظر أصول تفسير وقواعده ص 208، وكتاب اتجات التفسير في القرن الرابع عشر ص 374 وكتاب التفسير والمفسرون ص 330

يراد من الآية بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولا وقبل كل شيء، ذلك هو معنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره.

ج. مشروعية هذا التفسير

ذكر الدكتور محمد حسين الذهبي أن التفسير الإشاري ليس الأمر الجديد في إبراز معاني القرآن الكريم، بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم أشار إليه القرآن ونبه علي الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفه الصحابة – رضوان الله تعالى عنهم- وقالوا به.

أما إشارة القرآن إليه ففي قوله تعالى في الآية (78) من سورة النساء : {فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون قولا} وقووله تعالى في الآية (82) من سورة النساء أيضا :{أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} وقوله في الآية (24) من سورة محمد :{أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها}. فهذه الآية تشير إلى أن القرآن له ظهر وبطن،[19] حيث أشار سبحانه إلى أن الكفار لايكادون يفقهون حديثا، وهو سبحانه لايريد بذلك أنهم لايفهمون نفس الكلام الكريم، أو حضهم على فهم ظاهره، لأن العرب المشركين كانوا يدركون ظاهر القرآن ولا شك. وإنما أراد سبحانه بذلك أنهم لا يفهمون عنه سبحانه مراده من الخطاب، فحضهم على أن يتدبروا في آياته حتى يقفوا على مقصود القرآن ومراده وتلك هي الإشارات التي جهلوها ولم يصلوا إليها بعقولهم، لعامل الكفر والجحود في قلوبهم.[20]

وأما تنبيه من الرسول صلى الله عليه وسلم فذلك في الحديث الذي أخرجه الفريابي من رواية الحسن مرسلا عن رسول الله صلى اللع عليه وسلم أنه قال : "لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع" وفي الحديث الذي أخرجه الديلمي من رواية عبد الرحمن بن عوف مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد" ففي هذين الحديثن تصريح بأن القرآن له ظهر وبطن.[21]

وأما الصحابة فقد نقل عنهم أنهم من الأخبار ما يدل على أنهم عرفوا التفسير الإشاري وقالوا به، أما الروايات الدالة على أنهم يعرفون ذلك فمنها :

[19] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 ه)، ص 309

[20] الشيخ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (بيروت : دار النعائس، 1414 ه)، ص 207

[21] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 ه)، ص 309

- ما أخرجه ابن أبي حاتم من طبرق ضحاك عن ابن عباس أنه قال : "إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه ولاتبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أخبر فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة وبطنه التأويل، فجلسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء"
- عن ابن مسعود أنه قال : ((من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن)) وهذا الذي قالوه لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر.
- عن أبي درداء أنه قال : ((لايفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها)).[22]

ح. أهم كتب التفسير الإشاري.

- تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله التستري ، ولد هذا الإمام بتستر سنة 200 وقيل سنة 201 هـ..
- حقائق التفسير، لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي.[23]
- عرائس البيان في حقائق القرآن، لأبي محمد روزبهان بن عبد النصر البقلي الشيرازي الصوفي، ولد هذا الإمام سنة 522 هـ توفي سنة 666هـ.
- التأويلات النجيمة، لنجم الدين داية، ومات قبل أن يتمه فأكمله من بعده علاء الدولة السمناني،
- التفسير المنسوب إلى ابن عربي،الأستاذ الأكبر محيي الدين بن عربي، هذا التفسير ينسب إلى ابن عربي، وإن كان بعض الناس لا يصدق أن هذا التفسير من عمل ابن عربي، بل يرى أنه من عمل عبد الرزاق الكاشاني وفي بعض النسخ بالقاف (القاشاني). وإنما نسب لابن عربي ترويجا له بين الناس، وتشهيرا له بشهرة ابن عربي، وممن يرى بهذا القول : الشيخ محمد عبدخ وشيخ رشيد رضا.

خ. الأمثلة من التفسير الإشاري:

- ما رواه البخاري عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنه– أنه قال : ((كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : "لم تدخل معنا ولنا أبناء مثله ؟" فقال عمر : "إنه من

[22] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 هـ)، ص 310

[23] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 هـ)، ص 337

حيث علمتم" فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال : "ما تقولون في قوله تعالى :{إذا جاء نصر الله والفتح}(النصر :1)؟" فقال بعضهم : "أمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي : "أكذاك تقول يا ابن عباس؟"، فقلت : "لا، قال : "فما تقول؟ قلت : "هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال : {إذا جاء نصر الله والفتح} وذلك علامة أجلك، {فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا}. فقال عمر : "ما أعلم منها إلا ما تقول"))[24]

- ما ورد من أنه لما نزل قوله تعالى في الآية (3) من سورة المائدة :{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} فرح الصحابة وبكى عمر رضي الله عنه، وقال : "ما بعد الكمال إلا النقص" مستعشرا نعيه صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج ابن أبي شيبة ((أن عمر —رضي الله تعالى عنه– لما نزلت الآية بكى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "ما يبكيك؟ قال: "أبكاني أنا كنّا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "صدقت"))[25]

الباب الثالث : الخاتمة

أن العلماء مازالوا متحيرين في أصل كلمة التصوف ولم يتفقوا عليه، ولكنهم اتفقوا على أن التصوف كلمة نسبت إلى من ترك الدنيا لأجل الآخرة ، وأرسل نفسه ليكون عبدا لله خالصا له. وأن التصوف ينقسم إلى قسمين أساسيين، وهما : التصوف النظري والتصوف العملي. كذلك تفسير الصوفي، ينقسم إلى قسمين، وهما التفسير الصوفي الإشاري، والتفسير الصوفي النظري.

معظم علماء أهل السنة لم يقبلوا تفسير الصوف النظري، وأما التفسير الصوفي الإشاري فإنهم اختلفوا في جوازه ووجوده شرعا، وأما الذين يقولون بجوازه شرطوا بعض الشروط التي لا بد من توفرها.

[24] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 ه)، ص310– 311

[25] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (قاهرة : دار الحديث، 1426 ه)، ص 311.

المراجع

الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الثاني، (القاهرة : دار الحديث، 1426 هـ)

الدكتور فهد بن عبد الوحمن بن سليمان العك، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، المجلد الأول، (الرياض : مكتبة رشد، 1423 هـ) الطبعة الرابعة.

الدكتور عرفان عبد الحميد الفتاح، نشأة الفلسفة الصوفيةوتطورها، (بيروت : المكتب الإسلامي، 1394هـ)

الشيخ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (بيروت : دار النعائسس، 1414 هـ) الطبعة الثالثة.